كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة غرداية
مجلة إسهامات للبحوث والدراسات
E-ISSN.2543-3636 / P-ISSN.2543- 3539
http://ishamat.univ-ghardaia.dz/index

الاستشراق: تمثّلات في التعريف

-مقاربة باستشكالات نصّية-

أ.د/ طاهر بن علي

ezzahirit@gmail.com

أحمد بوشامة

طالب دكتوراه جامعة غرداية

bouchama.ahmed@univ-ghardaia.dz

ملخّص:

الاستشراق من المواضيع التي كُتبت فيها الكتب والأبحاث، وعُقدت حولها الملتقيات والندوات، وتكوّنت بذلك معرفة واسعة. غير أنّ هناك معضلة تعترض المفكّرين والكتّاب، وتشكّل نقطة معرفية لم يستطع أحد أن يحتويها. وتمثّلت هذه المعضلة في تعريف الاستشراق وبسط مفهومه. وبسط المفهوم ضروري في العلوم الإنسانية والاجتماعية، فهي علوم مفاهيمية في جوهرها. ومن الضروري أن يتّجه البحث إلى بيان هذا الأمر من أجل أن ينتبه الباحثون إليه.

يأتي هذا المقال لينشئ تحريرا يوضّح فيه هذه المعضلة مستشهدا ببعض النصوص التي تحمل إشكال مفهوم الاستشراق.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، النصّ، المفهوم، المعرفة، إدوارد سعيد.

representations of the definition The Orientalism: different

-Textual problems approach-

Summary:

The Orientalism is one of the themes that had a lot of references and researches, also a many seminars and forums have been talking about it, so we were able to constitute an extensive knowledge. Nevertheless , the thinkers and the writers have an obstacle that no one of them could contain it , which is the determination of the exact definition of the Orientalism and to make it easy to understand. knowing that it is very important to simplify such concepts in the humanities and social science which are a conceptual sciences indeed.

A reorientation of the searches to elucidate this concepts will be required in order to attract the attention of the searchers to start working in this regard.

This article comes to set up an editorial that helps to clarify this problem by invoking certain texts having troubles with the Orientalism concept .

Key words: the Orientalism, the text, the concept, the knowledge, Edward Said.

توطئة:

المعرفة العلمية في أساسها بناء مفاهيمي للقضايا والظواهر، وتحديد لتعيينات العقلية لذوات الأشياء أو جواهرها، ولا يمكن أن تكتمل معرفة ما حتّى تكتمل المفاهيم التي تؤطّرها في التعقّل والتفهّم. والعلوم الإنسانية والاجتماعية في تحليلها وتفسيرها تحاول دوما بسط المفاهيم التي من خلالها تبني شبكة التصوّرات في خصائصها ومقوّماتها.

ولا زالت القضايا المفاهيمية يتداولها الاستشكال كلّما تطوّرت المعرفة باكتشاف الجديد، أو بتجدّد المناهج، إذ المفاهيم ليست قارّة قرار حروف الأبجدية، ولكنّها متحوّلة تحوّل اللفظ في سياق الكلام. وما زال البحث العلمي يتناول المفاهيم بقبض المصطلح أو ببسط النظرية من أجل أن تستوي المعرفة على مستوى الخطّ المعرفي في دوائر التفهّم والتعقّل.

والاستشراق من المفاهيم التي حرّكت الأذهان بالأفكار، والقراطيس بالأقلام، وما زالت تثير الاستشكالات الكثيرة حولها، وتزعج العقول إلى رؤى جديدة تحاول المفهومية من أجل تأطير المعرفة التي تتناول الاستشراق موضوعا.

في معنى المصطلح ومكانته في بنائية المعرفة:

إنّ للمصطلح أهمّية كبرى في تحديد المفاهيم وبناء المعارف عليها، فمن الأساسيات المهجية والمعرفية أن يضبط المصطلح لتتّضح معالم الخطاب المكوّن للنصّ المعرفي، إذ "عدم ضبط المصطلحات يؤدّي إلى ضبابية الرؤية وتعميتها لدى القارئ، ويحول دون التقدّم في مجال العلم والمعرفة.

فالمصطلحات وضعت أساسا من أجل ضبط المعرفة"[62].

قال التهانوي في مقدّمة كتابه "كشّاف اصطلاحات الفنون: "إن أكثر ما يحتاج به في تحصيل العلم المدوّنة والفنون المروّجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح، فإنّ لكلّ علم اصطلاحا خاصّا به إذا لم يعلم بذلك لا يتيسّر للشارع فيه الاهتداء إليه سبيلا، وإلى انغمامه دليلا"[63].

فإذا "كانت العلوم هي تصوّرات وقضايا وإشكالات، فإنّ المصطلحات أسّها ومفاتيحها؛ فالمصطلحات ليست مفاهيم توظّف لدراسة القضايا والمشكلات فحسب، بل هي مدخل إلى الإشكالات ذاتها؛ فما دام أنّ هذه الأخيرة هي قضايا نسقية، وأنّ المصطلحات هي تصوّرات، فإنّهما متماهيان؛ فلا يمكن بناء المفاهيم التاريخية إلّا بتعريف المصطلحات وإعادة تركيبها، خدمة للإشكاليات"[64].

ولأهمّية المصطلح في بناء المعرفة استقلّ به علم منفرد عرّف بأنّه "العلم الذي يبحث عن العلاقة بين اللفظ ودلالته، أو بين اللغة والمفهوم... وعلم المصطلح هو العلم الذي يبحث عن المصطلحات من حيث دلالتها اللغوية والعلمية"[65].

والمصطلح هو "كلمة وضعتها فئة مخصوصة في صناعة معيّنة بإزاء مفهوم محدّد بحيث إذا ذكر ذلك اللفظ لا يراد به غير هذا المفهوم"[66]. قال الجرجاني في التعريفات: "الاصطلاح اتّفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى"[67].

وقال الزبيدي في تاج العروس: "الاصطلاح اتّفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص"[68]. وقال

([62]) عزيزة المكينسي: **قضية المصطلح وآفاق الدراسة المصطلحية**، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانية، ع 06، القنيطرة، المغرب 2006، ص 175.

([63]) محمّد علي التهانوي: **موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، ترجمة وتحقيق مجموعة من الباحثين، ط 01، بيروت 1996، ج 01، ص 01.

(64) سعيد بنحمادة: تاريخ الغرب الإسلامي: **رؤية منهجية لقضايا معرفية**، عصور الجديدة، م 07، ع 26، وهران 1438هـ/ 2016-2017م، ص 27.

(65) محمّد فاروق النبهان: **أهمّية المصطلح في العلوم الإسلامية(المصطلحات الفقهية نموذجا)**، الأكاديمية، ع 18، الرباط 2001، ص 51.

(66) عبد العزيز المطّاد، أصول المصطلح، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانية، ع 05، القنيطرة، المغرب 2005، ص 08.

([67]) علي بن محمّد الجرجاني(ت 816هـ/ 1413م): **معجم التعريفات**، تحقيق محمّد صدّيق المنشاوي، د ط، دار الفضيلة، القاهرة، د ت، ص 27.

(68) محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق حسين نصّار، د ط، مطبعة حكومة الكويت، الكويت 1369هـ/ 1969م، ج 06، ص 551.

الكفوي: "هو اتّفاق القوم على وضع الشيء."[69]. ويقول القرافي: "الاصطلاحات هي الألفاظ الموضوعة للحقائق"[70].

الاستشراق لغة:

فلمّا كان الاصطلاح "إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد"[71]، كان لزاما الرجوع إلى المادّة المعجمية للنظر في أصول اللفظ، ثمّ نمضي معه فيما وضع له.

الاستشراق لفظ من جذر شرق، و"الشين والراء والقاف أصل واحد يدلّ على إضاءة وفتح"[72]، وشرق المكان شرقا أشرقت عليه الشمس[73]، والشرق بسكون الراء المكان الذي تشرق فيه الشمس[74]، والشرق حيث تشرق الشمس[75]، والشرق المشرق[76]، أي المحلّ الذي هو المشرق. وصيغة استفعال في لغة العرب هي للطلب أو للنسبة، أي من طلب الشرق في مراد، أو انتسب إلى الشرق في هيئة. والحاصل من هذا أنّ اللفظ مرتبط بالشرق.

الاستشراق اصطلاحا:

لا نجد في معاجم اللغة العربية القديمة لفظ الاستشراق، فلم يكن القوم يعرفون هذا اللفظ، ولم يجر على ألسنتهم، كقولهم: شَرَّقَ، أو تشرّق، ذلك أنّ "كلمة استشراق كلمة اصطلاحية، لا يراد بها مدلولها اللغوي، من حيث التوجّه نحو الشرق"[77]. وظهر في المعاجم أوّل مرّة عند الشيخ أحمد رضا في موسوعته "معجم متن اللغة" حيث قال: "استشرق: طلب علوم الشرق ولغاتهم(مولّدة عصرية)، يقال لمن

---

(69) أيّوب بن موسى الحسيني أبو البقاء الكفوي(ت 1094هـ/ 1683م): **الكلّيات. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق عدنان درويش ومحمّد المصري، ط 02، مؤسّسة الرسالة، بيروت 1419هـ/ 1998م، ص 129.

(70) شهاب الدين أحمد بن إدريس أبو العبّاس القرافي(ت 684هـ/ 12م): **شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول**، د ط، دار الفكر، بيروت 1424هـ/ 2004م، ص 11.

(71) الكفوي، المصدر السابق، ص 129.

(72) أحمد بن فارس أبو زكريا(ت 395هـ/ م): **مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون**، د ط، دار الفكر، بيروت، د ت، ج 03، ص 264.

(73) مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، ط 04، مكتبة الشروق العربية، القاهرة 1425هـ/2004م، ص 480.

(74) جمال الدين بن محمّد بن مكرم بن منظور أبو الفضل: **لسان العرب**، د ط، دار صادر، بيروت، د ت، ج 10، ص 175.

(75) الزبيدي، التاج، ج 25، ص 493.

(76) إسماعيل بن حمّاد الجوهري: **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، ط 03، دار العلم للملايين، بيروت 1404هـ/ 1984م، مادّة شرق.

(77) محمّد فاروق النبهان: **الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره**، د ط، منشورات المنظّمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، الرباط، 1433هـ/ 2012م، ص 11.

يعنى بذلك من علماء الفرنجة"[78].

هذا التعريف هو أصل كلّ العريفات التي سنتناولها، وقد جمع في ألفاظه المعنى الذي وضع له، حيث فيه الطلب وهو توجّه أهل العجم إلى معرفة ما في الشرق من علوم ومعارف، وفيه الاتّجاه وهو من الغرب إلى الشرق، وفيه أنّه غير عربي، وأنّه ممّا انتقل إليها بالتوليد.

وقد جاءت التعريفات بعد ذلك لتدلّ على خصائص الاستشراق، كلّ حسب زاوية رؤياه، لذلك "لا يوجد جواب واحد وقارّ عن الاستشراق ما هو"[79]، إذ "اختلف الباحثون والمفكّرون اختلافا كبيرا في تحديد المعنى الاصطلاحي للاستشراق"[80]. "ورغم تداول مصطلح الاستشراق في مختلف الدراسات والكتابات والمؤتمرات، إلّا أنّ ثمّة اختلاف وتباين في تحديد مفهومه في كتابات المفكّرين العرب، والمفكّرين الغربيّين، ذلك أنّ المنطلقات تختلف من جهة لأخرى"[81].

والظاهر أنّ مردّ ذلك إلى أمرين اثنين؛ أوّلهما أنّ مصطلح الاستشراق مصطلح مترجم، "ومن الإشكالات التي يجب الإشارة إليها إشكال "المصطلح" المترجم، فالمصطلح في اللغة الفرنسية مثلا حتّى مع ترجمته إلى لغة أخرى قد لا يؤدّي مفهومه بالدقّة التي يؤدّيها في سياق لغته"[82].

والثاني أنّ المصطلح تداخلت فيه مفاهيم كثيرة فرضتها طبيعة الاستشراق من جهة، وتطوّره من جهة ثانية، وعلاقاته بالميادين المعرفية من جهة ثالثة، وارتباطه بدوائر عديدة مختلفة التخصّصات، ومتشعّبة الاهتمامات، ومواكبته لحقب تاريخية لها خصوصياتها الحضارية والسياسية من جهة رابعة، وأصوله من من جهة خامسة. وبذلك تكوّنت مفاهيم كثيرة للاستشراق. ومعنى ذلك أنّ الاستشراق منظومة كاملة باتّجاهاتها، ومعارفها، ومؤسّساتها، وتواصلها.

وكلّ الألفاظ التي انتظمت بها المفاهيم متشابهة في أشياء، ومختلفة في أشياء أخرى، كقولهم أنّ "كلمة الاستشراق كلمة اصطلاحية وتطلق على من اتّجه إلى دراسة اللغات الشرقية وآدابها وعلومها وتراث الشرق كلّه لمعرفة تطوّر التراث الإنساني"[83]، أو قولهم أنّه "حركة علمية تعنى بدراسة أوضاع الشرق في كلّ ما له صلة بماضيه وحاضره ومستقبله، كما تعنى بنشر ما في تراث هذا الشرق من الآثار الفكرية

(78) أحمد رضا: **معجم متن اللغة**، د ط، دار مكتبة الحياة، بيروت 1378هـ/ 1959م، ج 10، ص 03.

(79) محمّد خروبات: **الاستشراق والعلوم الإسلامية بين نقلانية النصّ وعقلانية التأويل**، ط 01، المطبعة والورّاقة الوطنية، مرّاكش، المغرب 2017، ص 34.

(80) أحمد نصري: **بحوث في الاستشراق قراءة في التاريخ والمجال والمآل**، ط 02، دار القلم، الرباط 1441هـ/ 2020م، ص 06.

(81) محمّد قدّور تاج: **ماهيته، فلسفته ومناهجه**، ط 01، مكتبة المجتمع العربي، عمّان، الأردن 1435هـ/ 2014م، ص 18.

(82) محمّد خروبات، المرجع السابق، ص 33.

(83) محمّد فاروق النبهان: **الاستشراق والتراث العربي الإسلامي**، الأكاديمية، ع 32، الرباط 2015، ص 176.

والأدبية"[84]، أو قولهم "طلب علوم الشرق واتّجاه للتخصّص في معرفتها، والمستشرق هو المتخصّص في علوم الشرق وحضارته وآرائه وفنونه"[85].

وأمّا مفهوم الاستشراق كما جاء في معاجم اللغات الأوروبية التي اهتمّت بهذا التوجّه المعرفي[86]، فهو "مجموعة المعارف المتعلّقة بالشعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها وحضارتها"[87].

وهذه كلّها مفاهيم بسيطة لا يمكن أن تتبنّاها دراسات جادّة لموضوع الاستشراق، فالتبسيط الذي لبسته عبارات التعريفات السابقة لا يهدف إلى إحداث فهم لدى القارئ، وإنّما هي تجاوز لمعضلة استشكالية المفهوم، الذي يصعب على الكتّاب تأطيره في تعريف[88].

نصوص في استشكالية تعريف الاستشراق:

على الدارس لموضوع الاستشراق الانتباه إلى القضايا الأساسية في التكوين المعرفي للموضوع، من أجل أن تستحوذ الذهنية على قيم واضحة ومنهجية، ليرتّبها الباحث من أجل استيعاب المعطيات. ولمّا كان التعريف من أهمّ ما يصادف الباحث في تحصيل المعارف، وجب علينا الوقوف عند معضلة تعريف الاستشراق، من أجل أن تتّضح لنا الرؤية في تناول قضاياه عند الباحثين الذين قدّموا معطيات مفاهيمية للاستشراق. وعليه فقد اخترنا نصوصا يتلقّاها الباحث بالاستشكالات حتّى يميّز الأصول المعرفية في اختلافات التعريف، إذ الاختلاف معطى معرفي يحيل الفكر على أصل التأسيس:

النصّ الأوّل:

هذا نصّ يبرز معضلة مفهوم الاستشراق عند المهتمّين به، ويؤكّد اتّجاه المقال المعرفي، ويبيّن كيف أنّ النصوص المحرّرة في مواضيع الاستشراق تشكو هذه المعضلة، وتجعل ذلك مقدّمة بين يدي دراستها لعلمها أنّ الاستشراق كما تقدّمه هذه الكتابات يكتنفه الغموض، لا من حيث المهمات اللفظية، ولكن من حيث الالتباسات الفكرية.

يقول صاحب النص: "لعلّه من المفيد والضروري أن أؤكّد على توضيح مصطلح الاستشراق الذي أعتقد أنّه يعاني من ضبابية في الوضوح، الأمر الذي يرتّب عليه إشكالية المقصود قبل البدء في الحديث عن تفاصيله الأخرى، ولذلك رأيت من الضروري جدّا أن أبدأ بهذه النقطة ألا وهي تحديد مفهوم الاستشراق لأدخل بعد ذلك في معالجة هذا الموضوع برؤية واضحة وبمقصود لا يستدعي الحيرة أو التساؤل.

ومهما يكن من أمر فإنّ تحديد المصطلح ينبغي أن يمرّ بفهم لغوي تحدّده الألف والسين والتاء التي هي حروف تدلّ في مجموعها على الطلب، ومن ثمّ فإنّ الاستشراق هو طلب الشرق. وتحت هذا المعنى

(84) أحمد نصري، المرجع السابق، ص 06.

(85) محمّد فاروق النبهان: الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، ص 11.

(86) نطلقه تجاوزا ليتّسق المعنى المراد من الكلام.

(87) Le Petit Larousse.

(88) أكبر ما يعانيه المفكّرون والعلماء تحديد المصطلحات للمفاهيم، وإنشاء المفاهيم للمصطلحات.

تدخل مفاهيم عديدة فزيارة الشرق أو الاهتمام به أو الكتابة عنه أو القراءة حوله أو التخصّص فيه أو استعماره كلّها تسمّة استشراقا، ولكن المعنى اللغوي عادة لا يسعف بتحديد المعاني نظرا لاتّساعه وشموله لمعاني متعدّدة، ولذلك وانطلاقا من المعنى اللغوي ذاته فإنّنا محتاجون إلى فهم مصطلح الشرق محور القضية.

وهكذا يمكن أن نقف على مدلول أوّلي لمصطلح الاستشراق، فهو: طلب الشرق/الذي هو آسيا وإفريقيا/ من قبل الغرب الذي هو أوروبا وأمريكا/ ولكن ما نوعية هذا الطلب؟

فالذي رأى الاستشراق من زاوية معرفية قال: إنّ الاستشراق هو معرفة الغربيين بالعالم الشرقي، أو هو اتّجاه الغربيين للبحث أو التخصّص في الشرق، ومن رآه من زاوية سياسية قال إنّ الاستشراق هو جهود الغربيين لمعرفة الشرق والسيطرة عليه، أو هو الأسلوب الغربي للسيطرة على الشرق.

وأخيرا فإنّي أعتقد أنّ إنتاج المستشرقين هو الذي يساعد في إدراك مصطلح الاستشراق، فمن المعروف أنّ المستشرقين قد ركّزوا أبحاثهم واهتماماتهم حول قضية معيّنة من قضايا الشرق وهي الإسلام والعروبة"[89].

ورغم إدراك النصّ لمعضلة المفهوم، ورغم محاولته تجاوز هذه المعضلة معرفيا والخروج بوضوح حول المصطلح، إلّا أنّه ظلّ في المربّع نفسه الذي قولب الباحثين في توجّهاتهم لتوضيح مفهوم الاستشراق. وحاول أن يركّز على اهتمامات المستشرقين ليحدّد المفهوم فتعلّق بما يزيد ذلك غموضا، وذلك أنّ الاستشراق متنوّع التخصّصات، ومتعدّد المقاصد، ومتجدّد المناهج، وكثير التطوّرات. وبهذا ندرجه في النصّية الاستشكالية.

النصّ الثاني:

"الاستشراق من الجذر (ش، ر، ق). الذي تتفرّع عنه عدّة ألفاظ بمعان متقاربة. والاستشراق هنا كلمة مشتقّة من الشرق (ويطلق أهل اللغة لفظة الشرق على الشمس، يقال: طلع الشرق... والتشريق الأخذ من ناحية الشرق).

ويقال شتّان بين مشرق ومغرب، وأشرق الرجل أي دخل في شروق الشمس، وشرّقوا ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق، وكلّ ما طلع من الشرق فقد شرق.. وفي الحديث: "أناخت بكم الفتن الشرق الجون"، يعني الفتن التي تجيء من قبل المشرق جمع شارق.. والشرق والشرقة والشرقة موضع الشمس في الشتاء... وأشرق الرجل أي دخل في مشرق الشمس.

هنا يظهر بوضوح من المعنى اللغوي أنّ الاستشراق كلمة مشتقّة من الشرق... والسين هنا للطلب أي طلب الشرق، ولها عدّة معان كلّها في فلك واحد وهو الاهتمام أو الدراسة، أو التوجّه، أو البحث الذي

(89) محمّد فتح الله الزيّادي: **الاستشراق أهدافه ووسائله. دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون**، ط 1، دار قتيبة، دمشق 1426هـ/ 1998م، ص 13.

يقوم به الإنسان الغربي تجاه العالم الشرقي، وتحديدا العربي الإسلامي".[90]

لعلّ الباحث المدقّق يلحظ كيف أنّ التعريف ها هنا لم يستطع أن يخلص من المادّة المعجمية إلى مفهوم الاصطلاح، وأنّ المصطلح الطارئ بعد التكوين المعجمي لم يجد لدى الباحثين سبيل التخريج اللفظي للمعنى المقصود، وذلك متأتّ من سبيل الترجمة التي تقف في بعض الأحيان معضلة في وجه تحقيق المفاهيم بالمصطلحات المختارة.

النصّ الثالث:

وفي الإنشاء البحثي في الدراسات الاستشراقية يصادفنا نصّ مهمّ يكاد يترجم الحالة المعرفية لدى الباحثين، ويجيب بالمنهج المعرفي عن بعض الجزئيات في تناول قضية مفهوم الاستشراق، التي تقتضي إدراك العلاقة بين المصطلح اللفظي والمعنى الحركي فيه.

جاء في سياق الحديث عن الاستشراق من زاوية منهجية المعرفة النصّ التالي:

"ربّما يستلزم الأمر تعريف الاشتشراق دعما للموضوع، لكن البحث لن يختار تعريفا حرفيا، كما لن يقدّم تعريفا شرقيا بحتا، لأنّ غالب تعريفات الشرقيين-وبسبب مانالهم من مواقف كثير من المستشرقين-قد انحسرت في نسق تعميمي يكتنفه ارتياب عميق، وبذلك شكّل التعريف الشرقي إجحافا بجهود حسنة أبداها قسم من المستشرقين. ولكن ومن جهة أخرى لن يختار تعريفا يوافق وجهة نظر غربية لا ترى في جهد الاستشراق...

إذن فالتعريف المعتمد هنا مفهوم مستجدّ للاستشراق من وجهة نظر غربية هي أقرب إلى التعريف الشرقي، لكنّها تصحّح بعض مساربه ومساراته، ليتوافق نسبيا مع علاقة المنهج بالخطاب الاستشراقي، على اعتبار على أنذ هذا التعريف وما فيه من مسحة غربية وشرقية مشتركة يكشف عن حقيقة الثقل الداخلي لفعل الكتابة، صحيح أنّه لا يستوعب جلّ التصوّرات الغربية لمفهوم الاستشراق، لكنّه على أيّة حال يعبّر عن شريحة ثقافية مهمّة تجاوزت معنى الاستشراق المؤسّساتي المتعالي...

... تجدر معالجة مفهوم الاستشراق بتجاوز هاجس ثنائية الشرق والغرب، والتعامل معه بوصفه جهدا معرفيا خاضعا للنقد، وللرفض والقبول، بعد أن سلّمنا بشيئين:

الأوّل: هو أنّ مكتسبات الاستشراق الإيجابية في أيّ مرحلة وأيّ لون كانت تعود بالنفع الإنساني لكلّ الأطراف.

والثاني: أنّ الاستشراق صار له امتدادات ومتشابهات ومتلازمات ثقافية اتّخذت من أهدافه ومناهجه وخطاباته أدوات لها، حتّى مع تغيير وتبديل مصطلح الاستشراق إلى مصطلحات ومسمّيات

(90) خالد إبراهيم المحجوبي: **الاستشراق والاسلام(مطارحات نقدية للطروحات الاستشراقية)**، د ط، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا 2010، ص 15.

أخرى...[91]

رغم أنّ المقال يهدف إلى تجاوز كلّ المتعلّقات الإيديولوجية والنظريات المنبثقة من الرؤى الذاتية المتفاعلة مع المعطيات المعرفية، وصياغتها في نسق غير النسق العلمي المتجرّد للمعرفة، إلّا أنّه لم يستطع أن يخلص إلى تعريف يحمل مفهوما واضحا كما أراده، رغم جنوحه إلى التنظير المنهجي والمعرفي، الذي يزايل كلّ مظاهر الذاتية المتّهمة بالابتعاد عن الموضوعية.

المحصول الذهني الاستشكالي من النصوص:

من خلال هذه النصوص على اختلاق أنساقها، وتباين سياقاتها، إلّا أنّها تؤكّد على حقيقة واحدة طالما اشتكى منها الباحثون صراحة، أو كابدوها خُفية، في الشرق والغرب على حدّ سواء. وذلك دليل على أنّ الاستشراق ليس بهذا المعنى التبسيطي الذي يدّعيه المستشرقون أو بعض خصومهم. وأنّ كلّ المفاهيم التي حوتها الإنشاءات، أو حاولتها التحريرات هي مقاربات لم تستطع احتواء المفهوم بالقدر الذي يكون واعيا لكلّ حيثياته المعرفية والتاريخية.

وهكذا نجد أنفسنا نحاول دراسة الاستشراق ولمّا نبسط فيه تعريفا يكون جامعا، أو يكون تأسيسا أو محورا تبنى عليه أو حوله معرفة متّصلة بكُنه الاستشراق، أو نجد أنفسنا نعنى بالاستشراق ولم نقدر على احتواء مفهومه احتواء يتناغم مع المعطيات المعرفية التي نحاولها.

النصّ الرابع: إدوارد سعيد وإشكالية مفهوم الاستشراق:

رغم أنّ كتاب "الاستشراق" للمفكّر إدروارد سعيد-وهو أشهر كتاب في هذا الميدان المعرفي[92]- يحمل مفاهيم جديدة، ويتحرّر من تحجيمات المادّة المعجمية، وينأى عن القوالب التي صمّمت في الغرب منهجا، أو وضعت في الشرق رباطا، إلّا أنّنا نجد أنّ معضلة المفهوم قائمة وبقوّة رغم أنّ الكاتب يلجأ إلى الاستناد المعرفي بإعطاء تعريف في مواقع متعدّدة من كتابه، إلّا أنّ المقاربة الإبستمية لكلّ ما أورده تلامس هذا القلق المفهومي في نصّ الكتاب.

وسأعتمد توليف نصّ من مواقع إيراد مفاهيم إدوارد سعيد للاستشراق مشيرا إلى صفحة مقلعه، وأنبّه إلى لحاظ أرقام الصفحات مع المقاطع لإدراك توزيع هذه المفاهيم ودورها في بناء الكتاب المعرفي،

(91) فارس عزّ الدين المدرّسو زاهدة محمّد الشيخ: **الاستشراق قراءة في المنهج وقصدية الخطاب**، آداب الرافدين، ع 60، الموصل، العراق 1432هـ/ 2011م، صفحات 147-149.

(92) هو الكتاب الذي شغل في الربع الأخير من القرن الماضي الغرب والشرق، وأزعج المنتصرين للاستشراق والمناوئين له. وأرى أنّه بقدر ما اعتزّ به صاحبه انزعج منه. هو في نظري مرحلة نضالية لها ظروفها وحيثياتها.

وهو التوزيع الذي يعتمده المفكّرون مخافة التأطير[93].

جاء في كتابه: "سيكون جليّا للقارئ (وسيزداد جلاء عبر الصفحات الكثيرة التي تلي) أنّني أعني بالاستشراق عددا من الأشياء هي جميعا، في رأيي، متبادلة الاعتماد. إنّ الدلالة الأكثر تقبّلا للاستشراق دلالة جامعية(أكاديمية). وبالفعل، فإنّ الملصقة ما تزال مستخدمة في عدد من المؤسّسات الجامعية. فكلّ من يقوم بتدريس الشرق، أو الكتابة عنه، أو بحثه-ويسري في ذلك سواء أكان المرء مختصّا بعلم الإنسان(انثروبولوجي)، أو بعلم الاجتماع، أو مؤرّخا، أو فقيه لغة(فيلولوجيا)في جوانبه المحدّدة والعامّة على حدّ سواء، هو مستشرق، وما يقوم هو أو هي بفعله هو استشراق.

فالاستشراق أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي(انطلوجي) ومعرفي(ابستمولوجي) بين الشرق و(في معظم الأحيان) "الغرب"[94]. ولذلك، فإنّ الاستشراق ليس مجرّد موضوع أو ميدان سياسي ينعكس بصورة سلبية في الثقافة، والبحث، والمؤسّسات، كما أنّه ليس مجموعة كبيرة ومنتشرة من النصوص حول الشرق، كما أنّه ليس معبّرا عن، وممثّلا لمؤامرة امبريالية"غربية" شنيعة لإبقاء العالم "الشرقي" حيث هو. بل إنّه، بالحري، توزيع للوعي الجغرا-سي إلى نصوص جمالية، وبحثية، واقتصادية، واجتماعية، وتاريخية، وفقه لغوية، وهو إحكام لا لتمييز جغرافي أساسي وحسب... بل كذلك لسلسلة كاملة من المصالح التي لا يقوم الاستشراق بخلقها فقط، بل للمحافظة عليها أيضا بوسائل كالاكتشاف البحثي، والاستبناء فقه اللغوي، والتحليل النفسي، والوصف الطبيعي والاجتماعي[95]... فالاستشراق، إذن، هو معرفة بالشرق تضع الشرقي في قاعة التدريس، في محكمة، في سجن، أو في دليل موجز لأغراض التحليل المدقّق، والدراسة والمحاكمة، والتأديب، أو الحكم[96]. إذ أنّ الاستشراق كان، في نهاية المطاف، رؤيا سياسية للواقع"رؤيا" روّجت بنيتها للفرق بين المألوف(أوروبا/ الغرب،"نحن") وبين الغريب (الشرق، المشرق "هم")، وبمعنى ما فقد خلقت هذه "الرؤيا"، أوّلا، ثمّ خدمت بعد ذلك كلّا من العالمين متصوّرين بهذه الطريقة[97].

وبإيجاز، فإنّه يحسن أن يفهم الاستشراق باعتباره طقما من الضوابط المقيّدة والمحدوديّات المفروضة على الفكر، بدلا من كونه، ببساطة، مذهبا إيجابيا[98]. والاستشراق هو المصطلح النوعي الشامل الذي أستخدمه في هذه الدراسة لوصف التناول الغربي للشرق: الاستشراق هو الفرع من فروع

(93) نقصد بالتأطير تأطير المفهوم للفكرة، أي توجيهه لها وفق مراده المحدّد. وهذا أكبر ما يلتبس في النصوص على كتّابها وعلى قرّائها في آن واحد.

(94) إدوارد سعيد: **الاستشراق. المعرفة. السلطة. الإنشاء**: تعريب كمال أو ديب، ط 02، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1984، ص 38.

(95) إدوارد سعيد، الاستشراق، ص ص 46-47.

(96) نفسه، ص ص 71-72.

(97) نفسه، ص 74.

(98) نفسه، ص 73.

المعرفة الذي تنوول به الشرق (وبه يتناول) بطريقة منتظمة من حيث هو موضوع للتعلّم، والاكتشاف، والتطبيق[99].

والاستشراق، وهو نظام المعرفة الأوروبية أو الغربية بالشرق، يصبح هكذا مرادفا للسيطرة الأوروبية على الشرق[100]... ذلك ببساطة لأنّني أومن بأنّ الاستشراق كان هو نفسه نتاجا لقوى ونشاطات سياسية معيّنة. فالاستشراق مدرسة للتفسير حدث أن كانت مادّتها الشرق، بحضارته، وشعوبه، وأقاليمه المحلّية[101].

وهكذا، فالاستشراق ليس مجرّد مذهب إيجابي حول الشرق يوجد في وقت واحد محدّد في الغرب، بل هو كذلك تقليد جامعي ذو تأثير (حين يشير المرء إلى مختصّ جامعي يدعى مستشرقا)، كما أنّه إقليم للاهتمام يحدّده الرحّالة، والمشروعات التجارية، والحكومات، والحملات العسكرية، وقرّاء الروايات ومسارد المغامرات الغريبة المدهشة، والمؤرّخون الطبيعيّون، والحجّاج الذين يمثّل الشرق لهم نمطا مخصّصا من المعرفة حول الأماكن، وشعوب، وحضارات معيّنة[102]. فالاستشراق، من حيث هو جهاز ثقافي، هو عدوانية، ونشاط، ومحاكمة، وإرادة للحقيقة، ومعرفة[103].

ملمح الاستشكال في نصّ إدوارد سعيد:

هل يحمل نصّ إدوارد سعيد استشكالا في مفهوم الاستشراق؟ وهل في نصّه قلق حقيقي في بسط المفهوم؟ الجواب عن هذا ب"لا" أو "نعم" لا يفسح مجالا لبناء معرفة صحيحة. والغريب أنّ كثيرا ممّن كتبوا عن الاستشراق اعتمدوا على كتاب إدوارد سعيد[104] في تعريف الاستشراق، ولكنّهم سطّحوا المفهوم تسطيحا أخلّ بما أراده هو من مفاهيم.

في النصّ قلق حقيقي، غير أنّ هذا القلق ليس متأتّيا من قصور في إدراك مفهوم الاستشراق، ولكنّه ملحوظية معرفية تستصحب المفهوم منعكسا على التوصيف، أو التخصّص، أو الهدف، أو المرحلة، أو على التاريخ، لتحدث المقاربة لمفصلية معرفية تستدعي التوضيح والتفسير.

ويتأسّس في نظري أنّ الاستشراق أوسع من أن يحدّد بمفاهيم، فهو واسع بالمعرفة، وواسع بالتاريخ، واسع بالأيديولوجيا، وواسع بالدراسة والنظرية، وواسع بالممارسة والتطبيق، فقد تشعّب في معارف كثيرة وميادين جمّة وفي جغرافيا حضارية واسعة، وفي تاريخ كبير.

يقول إدوارد معلّقا على كتابه ومبيّنا لمفهوم الاستشراق كما يتمثّله: "معروف أنّ الاستشراق،

(99) نفسه، ص 101.

(100) نفسه، ص 208.

(101) نفسه، ص 214.

(102)إدوارد سعيد، الاستشراق، ص 215.

(103) نفسه، ص 216.

(104) بعضهم جعل كتاب إدوارد موجة يركبها للظهور، وبعضهم اتّكأ عليه حتّى يسلم من اضطراب المفهوم في نصّه.

بوصفه نطاقا من الفكر والخبرة، يشتمل على العديد من الأوجه المتداخلة: أوّلها، تلك العلاقة التاريخية والثقافية المتغيّرة بين أوروبا وآسيا، والتي ترجع إلى 4000 عام، وثانيها، ذلك الفرع العلمي الذي بدأ في الغرب منذ القرن التاسع عشر، وراح يتخصّص المرء على أساسه في دراسة الثقافات والتراثات الشرقية المختلفة، وثالثها، تلك الافتراضات الإيديولوجية، والصور، والاستيهامات المتعلّقة بمنطقة من العالم تدعى الشرق"[105].

وها هنا يدرك القارئ أنّ للاستشراق عند إدوارد مفاهيم وليس مفهوما واحدا، وهو ما يعمد إليه المفكّر لكي لا يتقولب بقالبه، ولذلك يستصحب مفهوما كلّما عنّ له الحديث في موضوع معيّن. والمحصّل من كتابه أنّه يطرح مركّبا مفاهيميّا يفكّكه بمنهجية على مساحة كتابه حسب ما تقتضيه المفصلية فيه. رغم أنّه بيّن أنّ وجهة نظره لم تنصبّ على إبستمولوجيا جميع الدراسات الشرقية، بل على تلك التي ارتبطب بمشروع امبريالي تحديدا"[106].

إنّ كتاب "الاستشراق" مقاربة إبستمية في عالَم معرفي، فيه من الظواهر المعرفية المتداخلة، كلّما تداخل بعضها أعطى مظهرا جديدا. وأكثر قضاياه التي تناولها "تلك التي تتّصل بتمثيل الثقافات والمجتمعات والتواريخ الأخرى، والعلاقة بين السلطة والمعرفة، ودور المثقّف، والأسئلة المنهجية المتعلّقة بالعلائق بين مختلف أنواع النصوص، وبين النصّ والسياق، وبين النصّ والتاريخ"[107]. فهو يصدر عن فكر يحاول موقعين معرفيين اثنين، الشرقي موضوع الاستشراق، والغربي الممارس للاستشراق.

وكثيرون من درسوا الاستشراق ولم يحقّقوا هذه الموقعية، ولم يدركوا أهمّية المفهوم المركّب عند إدوارد سعيد، وفي عموم الدراسات، فجنحوا إلى المفاهيم العامّة من أجل ألّا يربكهم التعريف فيؤطّر نصوصهم، فالتعميم ملاذ الدراسات الإنسانية والاجتماعية.

بل جنح بعضهم إلى تسطيحه عند إدوارد سعيد نفسه، وادّعى أنّ مفهوم الاستشراق الذي يستخدمه إدوارد سعيد "يعني به شيئا دقيقا: الباحث الذي يدرس الشرق(وبالتحديد الشرق المسلم)، والكاتب الخيالي الذي يتّخذه موضوعا له، والمؤسّسات المعنية "بتعليمه، وتهدئته، وحكمه"، كلّهم يشتركون في أشياء: تمثيل معيّن له، أو فكرة أنّ "الشرق" يعرف بأنّه غير "الغرب"، غامض، غير متغيّر، وفي النهاية، أدنى منزلة"[108].

---

(105) إدوارد سعيد: **إعادة النظر في الاستشراق، ترجمة ثائر ديب**، مجلّة الآداب الأجنبية، ع 115، دمشق 2003، ص 67.

(106) إدوارد سعيد: **تعقيبات على الاستشراق**، ترجمة صبحي حديدي، ط 1، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1996 ص 147.

(107) نفسه، ص 33.

(108) ألبرت حوراني: **الطريق إلى المغرب. قراءة في قراءة في الاستشراق**، ترجمة عبد النبيّ اصطيف، التراث العربي، ع 07، س 02، دمشق نيسان 1982، ص 164.

لذلك نجد الاستشراق عند بعضهم: "نظام معرفي يتناول الشرق كما يتناول الغربيون غربهم من جهة العلوم بشقّيها الإنساني والطبيعي. وبهذا يخضع الشرق إلى نظام معرفي غربي متكامل في الجوهر والمنهج، فيتحوّل الشرق معرفيّا إلى ثقافة الغرب وحضارته"[109].

وهو "بتحديد دقيق ميدان من ميادين الدراسة المتفقّهة الخاصّة بدراسة تراث الشرق"[110]. أو "دراسة من خارج لعالم الشرق الأدنى والأقصى-بما في ذلك المغرب العربي-، وهويّته، ومراحل نموّه، وتطوّره التاريخي، وثقافته، وفكره، وفنّه، وعلمه"[111].

وفي نصّ آخر أجهد الكاتب نفسه في تحرير مقدّمة جعلها بين يدي تعريف الاستشراق، مع اعترافه بصعوبه تحديد المفاهيم، وخلُص بعد مقدّمته التنظيرية إلى أنّ "المفهوم العام للاستشراق لا يخرج عن كونه تلك الدراسات والمباحث التي قام بها الغربيون لمعرفة الشرق من جميع جوانبه"[112].

نصوص الاستشهاد في معطى الاستشكال النصّي:

في الكتابات عن الاستشراق ترد نصوص كثيرة تقوم شواهد على ما نصمد إليه من أنّ كثيرا من هذه النصوص يكوّن في إنشائه وتحرير فكرته استشكالا معرفيا حول مفهوم الاستشراق رغم كلّ الزعم الذي تبديه الأفكار حول احتوائها له، أو تسطيحها لمعناه.

النصّ الأوّل:

"يجب إذن أن نعرف ماهية الاستشراق، وموضوعه وعلاقاته بالاستعراب، وماهية الأخيرة، وأهمّية كلّ منهما في التقريب أو التوفيق بين الشرق والغرب، وأن ندرك من هو المستشرق؟ وما حقيقة مهمّته؟ وما أسباب اهتمامه بهذا الفرع من المعرفة؟ ومتى تحوّلت الكلمة من مفهومها اللغوي إلى مفهومها العلمي؟ إنّها أسئلة ضرورية يختلف الباحثون في الإجابة عليها بدرجات متفاوتة، وعلى الدارس أن يبحث هذا الاختلاف ويحاول التوفيق بين الآراء والأفكار لكي يصل إلى تعريف جامع مانع"[113].

وهو نصّ يعرض فيه صاحبه الاستشكال ببنائية معرفية من خلال استقصاء المفهوم في مجموع النصوص التي باشرت تعريف الاستشراق، ويعرض كثيرا من التعريفات عند الشرقيين وعند الغربيين،

(109) نذير العظمة: **من الاستشراق إلى العولمة. فرنسيس فوكوياما أنموذجا**، مجلّة آفاق المعرفة، ع 496، دمشق، كانون الثاني 2005، ص 294.

(110) أحمد طه: رؤية الآخر. **ملاحظات حول الاستشراق**، مجلّة القاهرة، ع 69، القاهرة، رجب 1407/ مارس 1987، ص 35.

(111) وائل غالي: **ما بعد الاستشراق**، د ط، دار الهلال، القاهرة، 2007، ج 1، ص 3.

(112) ساسي سالم الحاج: **نقد الخطاب الاستشراقي. الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية**، ط 01، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا 2002، ص 22.

(113) أحمد سمايلوفتش: **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، د ط، دار الفكر العربي، بيروت 1418هـ/ 1998م، ص 21.

ويتعرّض لمصطلحي الاستعراب والاستغراب حتّى يحدث التماهي في السياق المعرفي العام؛ أي تحصيل المعرفة من خلال التجميع حتّى لا يتأطّر بحثه بمفهوم مختار، فيخرج من معضلة المفهوم الذي يعاد إليه المحرّر من الإنشاء في الموضوع.

ويمضي في استعراض مفاهيم الاستشراق عند الغربيين وعند العرب ليصل كما قال إلى تعريف جامع مانع، غير أنّ تحصيله كان مجموعة مفاهيم من عند الغربيين، ومجموعة مفاهيم من عند العرب[114]، فخلص من المجموع إلى المجموع. والأمر سواء حينما عقد الموازنة بين تعريفات هؤلاء وهؤلاء، فصار إلى إنشاء امتدّ بالقارئ إلى صفحات[115]لم يحصّل منها هذا التعريف الجامع المانع.

وهكذا يقوم نصّه استشهادا في معطى الاستشكال النصّي ليس من حيث الإقرار بالمعضلة وإنشاء العبارة فيها، ولكن من حيث المباشرة في محاولة التعريف وطرح المفهوم، فيظهر من السياق أنّ الكاتب لم يستطع منحنا مفهوما كما زعم، ولكنّه أحالنا على المفاهيم التي اختارها وعرضها، واستخلص منها، ووازن بينها، لكنّه لم يحدث التوفيق بينها لتحصيل المراد.

النصّ الثاني:

"الاستشراق مفهوم غير واضح المعالم لدى كثير من المفكّرين العرب والمسلمين، وتعتمد قوّة الحديث عنه على منطلقات المتحدّث الفكرية. ونجد في هذا الصدد أنّ المنطلقات الفكرية متعدّدة متفاوتة... ليس هناك تحديد واضح لمفهوم الاستشراق، بحيث يمكن معه إطلاق هذا المصطلح على ظاهرة بعينها، لها قياداتها وأطرها ونظرياتها ومقوّماتها. ومع الاتّجاه الذي تمليه الكلمة، إلّا أنّ هناك خلطا واضحا في الإنتاج الفكري العربي الذي حاول تحديد المفهوم"[116].

هذا النصّ يقوم دليلا على ما أسلفنا من أنّ هناك زعم باحتواء المفهوم، ويصير دليلا نصّيا على استشكالية النصوص مباشرة بعد عرضه على نصّ قبله للكاتب نفسه، حيث يقول: "فالتعريف الأعمّ للاستشراق هو دراسة الشرق، ثقافاته ومعتقداته وآدابه وعاداته وتقاليده وأساطيره وتاريخه من قبل علماء ومؤسّسات غربية وبين الأعمّ والأخصّ عام وخاصّ. والتعريف الأخصّ –عندي- هو دراسة العلوم الإسلامية وآداب المسلمين وعقائدهم وثقافتهم وتراثهم وأساطيرهم من علماء غير مسلمين ومؤسّسات غير إسلامية"[117].

النصّ الثالث:

(114) لا يمكن أن نستعرضها لطولها الذي يخلّ بحيّز هذا المقال، انظر: صفحات 25، 26، 30، 31، 32.

(115) امتدّت من الصفحة 21 إلى الصفحة 38. فكانت مبحثا لم يحقّق المراد المعرفي كما زعم.

(116) علي بن إبراهيم النملة: **كنه الاستشراق.المفهوم. الأهداف. الارتباطات**، ط 03، بيسان، الرياض 1432هـ/ 2011م، ص ص 17-18.

(117) علي بن إبراهيم الحمد النملة: **الاستشراق والدراسات الإسلامية. مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم**، ط 01، مكتبة التوبة، الرياض 1418هـ/ 1998م، ص 68.

"الاستشراق ظاهرة فكرية ذات حدود واسعة، لذلك غالبا ما يؤخذ بمفاهيم عدّة متكاملة حينا ومتداخلة أحيانا، وذلك لاختلاف النظرة لدراسة الشرق من طرف المستشرق الذي ينتمي إلى عالم غير العالم الذي يدرسه، والشرقي الذي هو موضوع الدراسة. وتثير لفظة "مستشرق" معان كثيرة ينصرف إليها الذهن بسبب جملة الأفكار التراكمية التي تكوّنت لدى كلّ من الشرقي والغربي عن موضوع الاستشراق..."[118]

يقوم التأسيس من هذا النصّ، وغيره في معناه كثير، أنّ كلّ المفاهيم التي بسطت في الأبحاث والمقالات تقرّ بأنّ مفهوم الاستشراق يتأبّى على القولبة الاصطلاحية، وأنّ كلّ الجهود لم تخرج عن المادّة المعجمية، أو عن مفاهيم هلامية التي تبقى في فضاءات الإنشاء، ولا تنزل إلى ميادين المعرفة الحقّة. وأنّ هذه الأبحاث تحاول مفهوما لمصطلح وضعته الدراسات الغربية تمييزا لاتّجاه وعصر وهدف ومنهج، وأوعزت الفهم فيه إلى الممارسة والدراسة، لا إلى القولبة اللفظية.

ومن هنا يخلص بعضهم إلى القول: "أنّ المصطلح الذي نستعمله الاستشراق عربي في مضمونه ومدلوله اللغوي، غير أنّه في الأصل استعمال أجنبي إنجليزي وفرنسي يتجذّر من كلمة شرق Orient فإذا أريد به الحركة الاستشراقية يكون Orientalism وإن كان يشير إلى العلماء المستشرقين فيكون Orientalists. وفي العربية فإنّ الشرق هو تحديد جغرافي كالشرق الأوسط أو الشرق الأدنى أو الشرق الأقصى... لكن دون شكّ فإنّ الاستشراق مصطلح إنجليزي وفرنسي على وجه التحديد"[119].

خاتمة:

يخلص البحث إلى أنّ مفهوم الاستشراق في الكتابات التي اهتمّت به لا يبرز بوضوح في الإنشاء التحريري، لأنّه لم يتّضح في التمثّلات العقلية التفهّمية، ولم يتأتّ ذلك من قصور، ولكنّه تأتّى من طبيعة الاستشراق وتطوّره عبر التاريخ، وعلاقته بدوائر كثيرة مختلفة ومتجدّدة.

وإنّ التسطيح الذي مارسه البعض على مفهوم الاستشراق لا يخدم البحث المعرفي في الاستشراق وتوجّهاته، كما أنّه يصِم الدراسات التي تبنّته بالقصور والبساطة، وربّما بالابتذال. إذ الدراسات الجادّة هي التي تحاول دوما تأطير المفهوم في استخدام المصطلح، أو تركّبه في حالة الاستعصاء المفاهيمي.

ويخلص البحث إلى قيمة معرفية يدعو إلى دراستها وتناولها بالبحث الإبستمي، وتتمثّل في تاريخية مصطلح الاستشراق، الذي شهد تطوّرات تاريخية، كما عرف تطوّرات سيكولوجية ليس على مستوى ممارسيه ومنتقديه، وإنّما على مستوى اللفظة في حدّ ذاتها، التي أنهكت الممارسات بشحنتها السيكولوجية، وأفرزت تناقضات في التفاعل معها، وفي التفاعل مع مضامينها كما أظهرها التاريخ، حتّى أفضى التوجّه إلى هجرها من طرف ممارسيها، ونبذها من طرف منتقديها.

(118) عبد الرحمان خرشي: **فلسفة الاستشراق وأثرها في الصراع الحضاري**، د ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2013،
ص 16.

(119) عبد الجبّار ناجي: **التشيّع والاستشراق**، ط 01، منشورات الجمل، بغداد–بيروت 2011، ص ص 46–47.

وبناء على ذلك يتوجّه البحث إلى استكمالية في بناء المعرفة حول الاستشراق من خلال المصطلح، ليتجاوز المفهوم الذي عالجه في هذا المقال لينتقل إلى تاريخية المصطلح، فالمصطلحات لها مولدها الفكري النظري، ولها تاريخيتها، ولا يمكن للباحث التغافل عن ذلك. ومن أجل ذلك يتوجّه البحث إلى أفق آخر باعتماد إشكالية تاريخية مصطلح الاستشراق، من لدن ظهوره إلى غاية اقتراح طرحه، وتناول ذلك بالمقاربة الابستمية.

الببليوغرافيا:

- بنحمادة سعيد: **تاريخ الغرب الإسلامي: رؤية منهجية لقضايا معرفية**، عصور الجديدة، م 07، ع 26، وهران 1438هـ/ 2016-2017م.
- تاج محمّد قدّور: **الاستشراق. ماهيته، فلسفته ومناهجه**، ط 01، مكتبة المجتمع العربي، عمّان، الأردن 1435هـ/ 2014م.
- التهانوي محمّد علي: **موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، ترجمة وتحقيق مجموعة من الباحثين، ط 01، بيروت 1996.
- الجرجاني علي بن محمّد(ت 816هـ/ 1413م): **معجم التعريفات**، تحقيق محمّد صدّيق المنشاوي، د ط، دار الفضيلة، القاهرة.
- الجوهري إسماعيل بن حمّاد: **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، ط 03، دار العلم للملايين، بيروت 1404هـ/ 1984م.
- الحاج ساسي سالم: **نقد الخطاب الاستشراقي. الظاهرة الاستشراقية و أثرها في الدراسات الإسلامية**، ط 01، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا 2002.
- حوراني ألبرت: **الطريق إلى المغرب. قراءة في قراءة في الاستشراق**، ترجمة عبد النبيّ اصطيف، التراث العربي، ع 07، س 02، دمشق نيسان 1982.
- خرشي عبد الرحمان: **فلسفة الاستشراق و أثرها في الصراع الحضاري**، د ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2013.
- خروبات محمّد: **الاستشراق والعلوم الإسلامية بين نقلانية النصّ وعقلانية التأويل**، ط 01، المطبعة والورّاقة الوطنية، مرّاكش، المغرب 2017.
- رضا أحمد: **معجم متن اللغة**، د ط، دار مكتبة الحياة، بيروت 1378هـ/ 1959م.
- الزبيدي محمّد مرتضى الحسيني: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق حسين نصّار، د ط، مطبعة حكومة الكويت، الكويت 1369هـ/ 1969م.
- الزيّادي محمّد فتح الله: **الاستشراق أهدافه ووسائله. دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون**، ط 1، دار قتيبة، دمشق 1426هـ/ 1998م.

- سعيد إدوارد: **الاستشراق. المعرفة. السلطة. الإنشاء**، تعريب كمال أو ديب، ط 02، مؤسّسة الأبحاث العربية، بيروت 1984.
- سعيد إدوارد: **إعادة النظر في الاستشراق**، ترجمة ثائر ديب، مجلّة الآداب الأجنبية، ع 115، دمشق 2003.
- سعيد إدوارد: **تعقيبات على الاستشراق**، ترجمة صبحي حديدي، ط 1، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1996.
- طه أحمد: **رؤية الآخر. ملاحظات حول الاستشراق**، مجلّة القاهرة، ع 69، القاهرة، رجب 1407/ مارس 1987.
- العظمة نذير: **من الاستشراق إلى العولمة. فرنسيس فوكوياما أنموذجا**، مجلّة آفاق المعرفة، ع 496، دمشق، كانون الثاني 2005.
- غالي وائل: **ما بعد الاستشراق**، د ط، دار الهلال، القاهرة، 2007.
- ابن فارس أحمد أبو زكريا(ت 395هـ/ م): **مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، د ط، دار الفكر، بيروت، د ت.
- القرافي شهاب الدين أحمد بن إدريس أبو العبّاس (ت 684هـ/ 12م): **شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول**، د ط، دار الفكر، بيروت 1424هـ/ 2004م.
- الكفوي أيّوب بن موسى الحسيني أبو البقاء (ت 1094هـ/ 1683م، تحقيق عدنان درويش ومحمّد المصري، ط 02، مؤسّسة الرسالة، بيروت 1419هـ/ 1998م.
- مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، ط 04، مكتبة الشروق العربية، القاهرة 1425هـ/2004م.
- المحجوبي خالد إبراهيم: **الاستشراق والاسلام(مطارحات نقدية للطروحات الاستشر اقية)**، د ط، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا 2010.
- المدرّسو فارس عزّ الدين والشيخ زاهدة محمّد: **الاستشراق قراءة في المنهج وقصدية الخطاب**، آداب الرافدين، ع 60، الموصل، العراق 1432هـ/ 2011م.
- المطّاد عبد العزيز ، **أصول المصطلح**، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانية، ع 05، القنيطرة، المغرب 2005.
- المكينسي عزيزة: **قضية المصطلح و آفاق الدراسة المصطلحية**، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانية، ع 06، القنيطرة، المغرب 2006.
- ابن منظور جمال الدين بن محمّد بن مكرم أبو الفضل: **لسان العرب**، د ط، دار صادر، بيروت، د ت.
- ناجي عبد الجبّار: **التشيّع والاستشراق**، ط 01، منشورات الجمل، بغداد-بيروت 2011.

- النبهان محمّد فاروق: **الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره**، د ط، منشورات المنظّمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، الرباط، 1433هـ/ 2012م.
- النبهان محمّد فاروق: **الاستشراق والتراث العربي الإسلامي**، الأكاديمية، ع 32، الرباط 2015.
- النبهان محمّد فاروق: **أهمّية المصطلح في العلوم الإسلامية(المصطلحات الفقهية نموذجا)**، الأكاديمية، ع 18، الرباط 2001.
- نصري أحمد: **بحوث في الاستشراق قراءة في التاريخ والمجال والمآل**، ط 02، دار القلم، الرباط 1441هـ/ 2020م.
- النملة علي بن إبراهيم الحمد: **الاستشراق والدراسات الإسلامية**. مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، ط 01، مكتبة التوبة، الرياض 1418هـ/ 1998م، ص 68.
- النملة علي بن إبراهيم: **كنه الاستشراق.المفهوم. الأهداف. الارتباطات**، ط 03، بيسان، الرياض 1432هـ/ 2011م.